

وهكذا نرى ان السعي الى الانطلاق في الاستنتاجات والتعميمات الفنية من تحليل مجمل الظروف والاسباب الاجتماعية التاريخية ، أمر لا يتصف به الطريقة الرومانتيكية .

وكثيرا ما ينطلق الكاتب الرومانتيكي في أعماله الفنية عندما يصور احداثا تاريخية واجتماعية من مبادئ الأخلاق المجردة ومن مبدأ حتمية انتصار الخير على الشر وما شابه ذلك . هذا لا يعني ابدا امكانية ان ينشئ الكاتب الرومانتيكيون صورا وشخصا اجتماعية تاريخية صادقة (هيجو ، جورج صاند ، شيلي) . ان الموقف الانتقادي من المجتمع البرجوازي هو نقطة الانطلاق التي توحى الى الكاتب الرومانتيكي الصور الفنية التي تعكس تناقضات الرأسمالية بصدق وتعكس تفسخها الأخلاقي وزيفها ، وتصور وضع الجماهير الشعبية البائس في المجتمع البرجوازي وغير ذلك .

ان الميل الواقعي في أبداع الرومانتيكيين التقديميين حتمية ومعللة . فهيجو في « البؤساء » يصور بصدق عملية تكون البؤساء في العالم الرأسمالي ، كما أن صور التعسف الوحشي الذي مارسه النبلاء الانكليز والظلم الذي كان يتعرض له الشعب في انكلترا في القرن السابع عشر مرسومان بصدق عظيم في مؤلفه « الانسان الذي يضحك » . وتبين لنا جورج صاند بواقعية اصيلة التشويه الذي يصيب الناس « ذوي الطبيعة الفذة » في المجتمع البرجوازي . ويسخر هوفمان من المتحمس الألماني ذي الشخصية الملتوية في قصصه ورواياته في رسمه في صور خيالية ، ويرينا بايرون بصدق هائل انتصار « شيطان النقود » ودور انكلترا في المنظومة الرجعية الاوروبية في بداية القرن التاسع عشر في أعماله « تشايلد هارولد » و « العصر البرونزي » و « دون جوان » .

ولكن ليس هذا هو الأمر الأساسي من وجهة نظر نظرية الفن الرومانتيكية . ان الكاتب الرومانتيكي مقتنع بان العملية التاريخية وتاريخ المجتمع الانساني ، اللذين يهمنهما كثيرا ، هما ، قبل كل شيء ، مظاهر للمبادئ الانسانية العامة الثابتة : الخير ، الشر ، العدالة ، الصدق الخ . والكشف عن هذه المبادئ ونزع الاستار التي تحجبها واظهارها على أوضح وأجلى صورة هو الهدف الذي يحدد تميز طريقة الرومانتيكيين الفنية واسلوبهم في « النمذجة » . ان هذه الطريقة تمتاز بميلها الى تصوير ما هو متفوق وغير عادي ، فإبطال الأعمال الفنية الرومانتيكية عمالقة واحداثها حاسمة وسريعة ، وتقوم فيها مفارقات القدر بدور كبير وتستخدم فيها الصور الخيالية والاسطورية استخداما واسعا . والمبالغة والمقابلة بين التناقضات هما وسيلتا التصوير الفني المحببتان عند الرومانتيكيين .